

سُورَةُ الْمَدَّيْنَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٥٠]

القرءات: «والرجز» قرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب بضم الراء والباقون بكسرها.

المعنى: قال الرازي: ذكروا في «الرجز» وجوهاً:

الأول- قال العتبي: الرجز العذاب قال الله تعالى ﴿ لَئِن كَشَفْتِ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ [الأنعام: ١٣٤] أي العذاب ثم سُمِّيَ كيد الشيطان رجزاً لأنه سبب للعذاب وسميت الأصنام رجزاً لهذا المعنى أيضاً فعلى هذا القول تكون الآية دالة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصي. ثم على هذا القول احتمالان: أحدهما- أن قوله تعالى «والرجز» يعني كل ما يؤدي إلى الرجز فاهجره والتقدير وذا الرجز فاهجر أي ذا العذاب فيكون المضاف محذوفاً.

الثاني- أنه سُمِّيَ ما يؤدي إلى العذاب عذاباً تسميةً للشيء باسم ما يجاوره ويتصل به.

القول الثاني- أن الرجز اسم للقبیح المستقذر وهو معنى الرجس. فقوله تعالى «والرجز فاهجر» كلام جامع في مكارم الأخلاق كأنه قيل له اهجر الجفاء والسفه وكل شيء قبيح ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين المستعملين للرجز. وهذا يشاكل تأويل من فسر قوله تعالى «وثيابك فطهر» على تحسين الخلق وتطهير النفس عن المعاصي والقبائح.

وقال ابن عاشور: الرجز: يقال بكسر الراء وضمها وهما لغتان فيه والمعنى واحد عند جمهور أهل اللغة وقال أبو العالية والربيع والكسائي: الرجز بالكسر العذاب والنجاسة والمعصية وبالضم الوثن ويحمل الرجز هنا على ما يشتمل الأوثان وغيرها من أكل الميتة والدم.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المائدة: ٣٠]

القراءات: «تسعة عشر» قرأ أبو جعفر بإسكان «عين» «عشر» والباقون بفتحها.

التوجيه: قد تقدم في سورة يوسف عند قوله ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أن العرب قد تسكن عين «عشر» لثقل توالي الحركات [أي الفتحات] وكذا ما هو في حكم اسم واحد.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿وَالْيَلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المائدة: ٣٣]

القراءات: «إذ أدبر» قرأ نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف العاشر «إذ» بإسكان الذال، «أدبر» بهمزة قطع مفتوحة ودال ساكنة. وقرأ الباقون «إذا» بفتح الذال، «دبر» بحذف الهمزة وفتح الدال.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «إذا»، «دبر»، وقرئ «إذ أدبر»

وفيه قولان: الأول: قال الفراء، والزجاج دبر وأدبر بمعنى واحد كقبل وأقبل وبدل على هذا قراءة من قرأ إذا دبر. وروي أن مجاهدا سأل ابن عباس عن قوله «دبر» فسكت حتى إذا أدبر الليل قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل. وروي أبو الضحى أن ابن عباس كان يعيب هذه القراءة ويقول: إنما يدبر ظهر البعير، قال الواحدى والقراءتان عند أهل اللغة سواء على ما ذكرنا؛ أنشد أبو علي:

وَأَبِي الَّذِي تَرَكَ الْمُلُوكَ وَجَمْعَهُمْ بِصَهَابِ هَامِدَةَ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

القول الثاني- قال أبو عبيدة وابن قتيبة دبر أي جاء بعد النهار يقال دبرني أي جاء خلفي ودبر الليل أي جاء بعد النهار قال قطرب فعلى هذا معنى إذا دبر: إذا أقبل بعد مضي النهار.

وقال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا، أنّها قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب

في ذلك، فقال بعض الكوفيين هما لغتان، يقال: دبر النهار وأدبر، ودبر الصيف وأدبر، قال: وكذلك قَبِلَ وأقبل، فإذا قالوا أقبل الراكب وأدبر لم يقوله إلا بالألف وقال بعض البصريين: «والليل إذا دبر» يعني إذا دبر النهار وكان في آخره، قال: ويقال: دبني إذا جاء خلفي، وأدبر إذا ولى، والصواب من القول في ذلك عندي: أنها لغتان بمعنى، وذلك أنه محكي عن العرب قَبَحَ الله ما قَبِلَ منه وما دبر، وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا في تفسيرهم بين القراءتين، وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك، لأنها بمعنى واحد.

وقال القرطبي: واختار أبو عبيد «إذا دبر» قال: لأنها موافقة للحروف التي تليه ألا تراه يقول «والصبح إذا أسفر» فكيف يكون أحدهما «إذ» والآخر «إذا» وليس في الآن قسم تعقبه «إذ» وإنما يتعقبه «إذا».

قلت: القراءتان متواترتان، ولا وجه لردِّ إحداهما.

قَالَ تَجَالِي: ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ [الملك: ٥٠]

القراءات: «مستنفرة» قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح الفاء والباقون

بكسرها.

التوجيه: قال الرازي: ومستنفرة أي نافرة يقال نفر واستنفر مثل سخر واستسخر

وعجب واستعجب. وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار.

قال أبو علي الفارسي: الكسر في مُسْتَنْفِرَةٌ أولى ألا ترى أنه قال «فَرَّتْ من قَسْوَرَةٍ»

وهذا يدل على أنها هي التي استنفرت ويدل على صحة ما قال أبو علي أن محمد بن سلام

قال سألت أبا سوار الغنوي وكان أعرابيا فقلت كأنهم حمر ماذا؟ فقال مستنفرة طردها

قسورة، قلت: إنما هو فرت من قسورة قال أفرت، قلت نعم قال فمستنفرة إذا.

وقال الزمخشري: قرئ «مستنفرة» بكسر الفاء وهي شديدة النفار كأنها تطلب

النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه، وقرئ بالفتح، وهي المنفرة المحمولة على

النفار. وقال الألويسي: قوله تعالى «فرت من قسورة» يناسب قراءة الكسر «أي مستنفرة» ثم ساق ما نقله الرازي عن أبي عليّ من قول محمد بن سلام، وقد سبق قريباً

قلت: هما قراءتان متواترتان، ولكل قراءة فائدة، وقد أحسن ابن عاشور في بيان ذلك فقال: وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر «مستنفرة» بفتح الفاء أي استنفرتها مستنفر أي أنفرتها فهو من استنفر المتعدي بمعنى أنفره وبناء الفعل للنائب يفيد الإجمال ثم التفصيل بقوله «فرت من قسورة» وقرأها الجمهور بكسر الفاء أي استنفرت هي مثل: استجاب فيكون جملة «فرت من قسورة» بياناً لسبب نفورها.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الْمَدَّيْنَةُ: ٥٦]

القراءات: «وما يذكرون» قرأ نافع بتاء الخطاب على الالتفات والباقون بياء الغيب.

التوجيه: قراءة الياء تفيد الإعراض عن خطابهم كما قدمنا مراراً كما تفيد أن هؤلاء

الكفار لن يذكروا إلا إذا شاء الله، وقراءة التاء تفيد أن جميع المخاطبين بهذا القرآن لا يشاءون إلا أن يشاء الله.

